التهديد النووي الإيراني وتأثيره في الأمن القومي الإسرائيلي

د/ نور الدين دخان
جامعة المسيلة

د/ بن صغير عبد العظيم
جامعة بسكرة

أ/ زروقة إسماعيل
جامعة المسيلة

الملخص :

إن بروز إيران كقوة إقليمية صاعدة أصبح أكبر تهديد مباشر على إسرائيل خاصة و أنها تسعى بحماس لتطوير برنامجها النووي الذي وصل إلى مراحل جد متقدمة، رغم الاتفاق الأخير في ابريل 2015 ، الذي يعتبر خدعة إيرانية لكسب المزيد من الوقت ، لتحقيق حلم القنبلة النووية الإسلامية، و ذلك راجع للاهتمام الذي أولته القيادات الإيرانية المتعاقبة ، حيث منذ عهد الشاه " محمد رضا بهلوي"، والإيرانيون "يحلمون بنجاح مشروعهم النووي"، فهم يدركون أنه البوابة لفرض حضورهم ، و تغيير معالم المنطقة و إعادة توزيع الأدوار فيها ، إن إسرائيل أدركت أن السلاح النووي له وظائف إستراتيجية ذات أهداف سياسية، خاصة في ظل قوته التدميرية الهائلة، بسعيها لكي تكون أول دولة في منطقة الشرق الأوسط التي تمتلك السلاح النووي دون الإعلان عنه ، بإبقائه تحت مبدأ الشك و الاحتكار، و حتى تكون الدولة الوحيدة أيضا عن طريق مراقبة و متابعة كل المشاريع النووية في المنطقة، و محاولة إفشالها عند الإحساس بالخطر على أمنها القومي، و هو ما تحاول القيام به مع إيران.

Abstract :

The emergence of Iran as a regional power up long grades became the biggest direct threat to Israel, And it seeks to develop its nuclear program, who arrived to the stages of the very advanced, Despite the recent agreement in April 2015, which is the Iranian trick to gain more time, The realization of the dream of the Islamic nuclear bomb , And this is because of the interest of the Iranian leaders, That Israel understood that the nuclear weapon is of strategic importance With Political aims, It is trying to be a first nuclear state in the region , And do not allow any other country to get this arm.

مقدمة:

لقد كان لانعكاسات نجاح الثورة الإسلامية في إيران أهمية كبيرة أثارت جدلا واسعا بين مختلف الفواعل في إسرائيل حول مستوى التهديد الذي بات يشكله هذا النظام ، حيث اعتبر آية الله الخميني "أن إسرائيل غدة سرطانية زرعت في المنطقة وأنها تحتل بلدا إسلاميا وتضطهد شعبه"، إضافة إلى ذلك بلوغ البرنامج النووي الإيراني نقطة اللاعودة، رغم ضمانات الاتفاق الأخير في ابريل 2015 الذي يعتبره البعض خدعة إيرانية لكسب الوقت لاستكمال تصنيع السلاح النووي، وبالتالي أصبح يثير كثيرا من الجدل في أوساط الكتاب والمحللين الإسرائيليين، أدى إلى تباين وجهات النظر حول المشروع، ففيما اعتقد المعسكر المحسوب على المؤسسة العسكرية أن إيران أصبحت تشكل تهديدا وجوديا لإسرائيل وهذا لاعتبارات عديدة أهمها الأيديولوجية التي تتبناها إيران في سياستها الخارجية لأجل تكريس إيران الإسلامية قوة إقليمية في المنطقة، زد على ذلك نجاحها في تطوير منظومة من الصواريخ البالستية بعيدة المدى من طراز شهاب 1–2–3 ، وإمكانية حمل هذه الصواريخ رؤوسا نووية في المستقبل، هذه التهديدات الإيرانية ترجمتها تصريحات المسؤولين الإسرائيليين، فلقد دعا رئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق "آرييل شارون" المجتمع الدولي إلى فرض عقوبات على إيران ، متشبثا بعدم قبول إيران دولة نووية عظمى، خاصة وأن التقارير الاستخباراتية لجهاز الموساد كانت ترشح امتلاك إيران قدرة نووية كاملة بحلول 2006، في مقابل ذلك تتبنى وجهة النظر الأخرى والتي يمثل غالبيتها السياسيون الإسرائيليون فرضية تغليب مصالح الدولتين في المنطقة على الجانب الأيديولوجي والعقائدي ، وبالتالي جميع الاحتمالات مطروحة بشأن التعاطي مع هذا البرنامج حول إمكانية إقامة جسر من التفاهم، و تتمحور إشكالية الدراسة حول الأخطار و التهديدات التي ميزت البرنامج النووي الإيراني تجاه السياسة الأمنية الإسرائيلية، و إصرار إيران على نجاح مشروعها النووي، في مقابل إصرار إسرائيل على درء هذا التهديد، هذا الواقع يستوجب علينا الإجابة على السؤال التالي: **الى أي مدى يمكن اعتبار البرنامج النووي الإيراني تهديدا على السياسة الأمنية الإسرائيلية ؟**

1- أثره على المكتسبات الإستراتيجية الإسرائيلية

إن أهم هدف سعت إسرائيل إلى تحقيقه منذ نشأتها هو مسألة الأمن وضمان الوجود والاستمرار، وبالتالي عملت على بناء دولة قوية تستطيع مجابهة التحديات والأخطار المهددة لها، فكان الحصول على السلاح النووي ضرورة لانتقال إستراتيجية إسرائيل من مستوى الردع التقليدي إلى مستوى الردع النووي، إضافة إلى تمكنها من خلق عمق استراتيجي غير ثابت وفي توسع مستمر نظرا لسعي إسرائيل للحصول على مزيد من الأراضي تسمح لها بتحقيق مبدأ الحدود الآمنة ، هذه المكتسبات الإستراتيجية الإسرائيلية كانت ولغاية أكثر من ستين سنة ذات فعالية، إلا أن احتمالات وصول إيران إلى امتلاك السلاح النووي جعل هذه المكتسبات أمام اختبار حقيقي أكثر خطورة من التجربة العراقية التي استطاعت إسرائيل بفضل استخدام القوة العسكرية من قصف مفاعلها النووي "أوزيراك" سنة 1981.

1-1- فشل مبدأ الاحتكار النووي

لقد حرصت إسرائيل على امتلاك السلاح النووي قبل أي دولة في منطقة الشرق الأوسط ، حتى تكون الدولة النووية الوحيدة فيها، والقادرة على تدمير أي دولة تشكل تهديدا عليها، إن هذا الطموح الإسرائيلي تزامن مع المراحل الأولى لتشكيل هـذه الدولة، فلقد صرح "Ben Gurion" سنة 1947 في محضر اجتماع اللجنة التنفيذية اليهودية بقوله: "عندما تقوم الدولة اليهودية في وسط هذا البحر من الحقد العربي عليها، فإن ضمانها الوحيد هو الحصول على سلاح علمي متطور من مستوى ذلك السلاح الذي حسمت به الولايات المتحدة الأمريكية حربها مع اليابان" ، وفي اجتماع للجنة السياسية الخارجية لحزب "المابام" الذي كان "Ben Gurion" يرأسه بتاريخ ماي 1954 قال : "إسرائيل إذا خسرت الحرب مرة خسرت الحياة إلى الأبد ولا يمكن أن أستريح إلا إذا كان لدى إسرائيل سلاح للردع النهائي – الردع النووي الإستراتيجي- يكون هو الحماية الأخيرة للشعب اليهودي" (1) لهذا عملت إسرائيل منذ البداية على احتكار هذا السلاح في الشرق الأوسط وفق مسارين متوازيين

1- تعزيز وتدعيم القدرات النووية سواء من الناحية الكمية من حيث عدد الرؤوس الذي تجاوز مائتي رأس نووي أو من الناحية النوعية من حيث القوة التفجيرية التدميرية التي وصلت فيها إلى مستوى القنابل الهيدروجينية.

2- ضرب كل دولة من دول المنطقة تحاول الشروع في إقامة مشاريع نووية سواء سلمية فضلا عن عسكرية، وهذا ما حدث للمفاعل النووي العراقي أوزيراك في 07 جوان 1981.

إن منطق الردع النووي لا يقبل بوجود طرف نووي مقابل ، وهذا ما حدث في السباق النووي بين الولايات المتحدة الأمريكية والإتحاد السوفياتي سابقا ، وبالتالي إذا طورت إيران أسلحة نووية فلن تبقى إسرائيل الدولة الأقوى في المنطقة (2) ، والقادرة على صد أي هجوم من أي طرف معادي، وهو ما جعلها إلى إطلاق أقمار صناعية للتجسس في 2006، مثل القمر الصناعي "أروس" القادر على التقاط صور أكثر تفصيل ودقة للمنشآت العسكرية والصناعية والإستراتيجية، فهي لطالما كانت تشكو من أن الصور التي تلتقطها الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن كافية أو قد تصل متأخرة إلى أجهزة الاستخبارات الإسرائيلية، فلقد كانت تهدف إسرائيل عن طريق هذه التقنية إلى إقامة جهاز إنذار مبكر في حالة أي هجوم إيراني بصواريخ باليستية طويلة المدى والقادرة على حمل رؤوس نووية (3) .

إن إسرائيل وصلت إلى مرحلة من الإدراك أن السلاح النووي الإيراني مسألة وقت فقط، ويجب الاستعداد لأسوء الحالات مع مراعاة ما يسمى في الإستراتيجية "بالضربة الثانية" أي قدرة إيران على امتصاص الضربة الأولى لما تمتلكه من مساحة جغرافية لا بأس بها، وتوزيع لمنشآتها النووية في مناطق مختلفة ومتباعدة، وفيها حتى من هي تحت الأرض، وبالتالي الرد على هذه الضربة بإطلاق صواريخ قادرة على استهداف إسرائيل وحاملة لرؤوس نووية ، كما حدث مع التجربة العراقية، فبعد استهداف المفاعل النووي أوزيراك قام الرئيس الراحل "صدام حسين" بإطلاق صواريخ "سكود "Skud على إسرائيل (4) .

إن إسرائيل تتابع و بكثب التطورات الإيرانية في جميع الأصعدة، وذلك عن طريق تنافس كل من جهاز الاستخبارات الإسرائيلية "الموساد"، وشعبه الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية "أمان"، الذي صرح رئيسها "أهارون رئيفي فركش" أن الخطر الإيراني فعلي ويتزايد على إسرائيل، أما رئيس "الموساد" السابق الجنرال "مائير داغان" شدد على أن هناك قرارا إيرانيا استراتيجيا بامتلاك القدرة النووية، وهناك خشية من أنهم

إذا واصلوا وأفلحوا في امتلاك المادة المشعة فلن يكتفوا بالكمية الكافية لقنبلة واحدة وسيواصلون إنتاج كميات من المواد المشعة (5) ."

2-1 اندثار مبدأي الحدود الآمنة والعمق الاستراتيجي

يعتبر مفهوم الحدود الآمنة لإسرائيل من المفاهيم التي تمتاز بالحركية والديناميكية مستمرة، وهذا أمر مقصود من الحكومات المتعاقبة الإسرائيلية، حتى لا يتم تحديد نهائي لحدود إسرائيل، وبالتالي إمكانية ضم مزيد من الأراضي لتحقيق الحلم الإسرائيلي من النيل إلى الفرات، لذلك فمن الواضح أن هناك علاقة طردية بين مفهومي الحدود الآمنة والعمق الاستراتيجي، فكلما استطاعت إسرائيل الحصول على حدود أطول وتوسيعها، كلما زاد مدى العمق الاستراتيجي، وبالتالي الابتعاد أكثر من خطر استهدافها بالصواريخ التقليدية سواء من دول الطوق كما حدث في الصراع العربي الإسرائيلي أو مع حركات المقاومة اللبنانية والفلسطينية.

فلقد عمد الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي إلى تعزيز مفهوم الحدود الآمنة كحل لمشكلة العمق الاستراتيجي، لذلك فقد حدد وزير الخارجية الإسرائيلي الأسبق "أبا إيبن" الدلالة الإستراتيجية لهذا المفهوم بأنها: "حدود يمكن الدفاع عنها من دون مبادرة استباقية ." (6)

إن سعي إيران الحثيث لتطوير قدراتها العسكرية استطاع إلغاء هذين المبدأين، فلقد قامت إيران بتطوير صواريخ شهاب 3 - شهاب 4 بمدى يتراوح ما بين 1300- 2000 كلم على التوالي، وهو ما يكفي لتغطية كل العمق الإسرائيلي ، إضافة إلى تسريب أخبار تفيد بأن إيران قامت بشراء صواريخ ذات مدى أطول يصل مداها إلى 2500 كلم وهي صواريخBM-25 (7) ، هذه الصواريخ هي قادرة على حمل رؤوس نووية، وبالتالي فان مجرد وصول إيران إلى امتلاك سلاح نووي ، فان هذه المكتسبات الإستراتيجية قد تم إلغاؤها.

وفي ظل الإدراك الإيراني بضرورة تأمين الذات ضد أي هجمات إستباقية إسرائيلية (أمريكية) "Proxy war" ، أي قد تكون الهجمات من طرف إسرائيل، ولكن في مضمونها هي "حرب بالوكالة"، جاء السعي لتعزيز القدرات العسكرية كما ونوعا بما يتماشى والثورة الجديدة في الشؤون العسكرية، فلقد استفادت إيران من حربها مع العراق من الانخفاض المفاجئ في القدرة العسكرية بسبب الحرب من جهة، وقطع إمدادات

الأسلحة من الموردين الأساسيين لإيران وهما: الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية، بسبب نجاح الثورة الإيرانية من جهة أخرى، هذا ما جعل إيران في بداية 2003 تعلن عن إنتاج عدد متنوع من الوحدات البحرية المتطورة والتي شملت كل من: صواريخ بحرية بمدى 200 كيلومتر من طراز نور، وحاملة الصواريخ (سينا-1) التي دخلت الخدمة في مارس 2003، إضافة إلى المدمرة(موج)، كما تم تصميم طائرة الهيلوكوبتر متعددة الأغراض الخاصة بإمدادات الجسور الجوية وقوات المضلات، زد على ذلك صواريخ قصيرة المدى (إيران 130) ومتوسطة المدى (شهاب 3، شهاب 4) والعربات المدرعة (براق) . (8)

إن إفرازات امتلاك إيران (للسلاح النووي) على مبدأي الحدود الآمنة والعمق الاستراتيجي في غاية الخطورة، نستطيع أن نشير إلى أهمها في النقاط التالية :

1- في حالة حدوث ضربة نووية، فان الأمر يتعلق بملايين الضحايا، هذا ما جعل بعض الأوساط الأكاديمية تتحدث عن النهاية الحتمية لإسرائيل وهو ما يثير هلع الرأي العام الإسرائيلي.

2- الدقة المتناهية والفعالية الكبيرة أصبحت بمثابة العوامل التي تحدد درجة وفعالية الإستراتيجية المعتمدة، وهذه الأمور هي التي كانت سببا في نجاح إستراتيجية الردع.

3- إن امتلاك إيران (للسلاح النووي) خاصة الصواريخ العابرة للقارات، يلغي العامل الزماني والمكاني، وكمية قليلة منها كافية لإحداث أضرار كبيرة، فلا نحتاج لوقت كبير أو إلى اختيار مكان محدد.

4- لطالما كانت إسرائيل جد سعيدة لأنها الحليف الاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية، لكن (السلاح النووي) الإيراني يلغي تلك النظرة التقليدية للأحلاف العسكرية، حيث أصبح السلاح النووي يقوم بنفس الوظيفة.

5- امتلاك إيران(للسلاح النووي) قد يقود الدولتين إلى سباق نووي، تعمل كل دولة جاهدة على تطوير ترسانتها النووية من أجل قلب ميزان القوى لصالحها، ولكن الإشكال المطروح هو "How much is enough?" أي كم يلزم من أسلحة نووية حتى تستطيع إيران أو إسرائيل من تأمين نفسها.

إن إيران واثقة من أن إسرائيل لن تنزع سلاحها النووي تحت أي ظرف (9) ، كما أن إسرائيل واثقة من أن إيران لن تعود إلى الوراء في برنامجها النووي حتى تتمكن من امتلاك(السلاح النووي) ، هاته المعادلة و التي أصبحت تهدد الأمن والاستقرار في منطقة الشرق الأوسط، لأن الحرب النووية إذا ما قدر لها أن تقع فان الأثر سيكون شاملا (10) .

3-1 سقوط نظرية الردع النووي

إن الردع هو التهديد باستخدام القوة من أجل منع الخصم من القيام بعملية ما، لكن نجاح الردع يشترط وجود عوامل سياسية وإستراتيجية، وكلما تزايدت قدرة الرادع على معاقبة المرتدع (القدرات العسكرية) تتعزز بذلك الفعالية الردعية . (11)

أما الردع النووي "Nuclear Deterrence" فهو حسب "Thomas Schelling" :"براعة وذكاء وخبرة صانع القرار في عدم استعمال السلاح النووي لتحقيق أهداف سياسية"، عند إسقاط هذين التعريفين على الحالة الإسرائيلية نستطيع القول أن فشل نظرية الردع النووي يكون في حالتين اثنتين وهما :

1- إما تمكن إيران من اكتساب السلاح النووي، وهي الآن قد وصلت إلى مراحل جد متقدمة في مشروعها.

2- أو قيام حرب بين إيران وإسرائيل تكون عواقبها وخيمة على الجانبين، وهذا الخيار مطروح على طاولة العسكريين الإسرائيليين.

إن العداء الإيراني لإسرائيل واضح وجلي، حتى أن التصريحات الرسمية لمختلف السياسيين الإيرانيين تترجم هذا العداء، فالرئيس الإيراني الأسبق "علي أكبر هاشمي رفسنجاني" صرح في إحدى خطاباته قائلا: "أعتقد بأن العالم الإسلامي سيبيد إسرائيل إذا استخدمت الأسلحة النووية، طالما أن إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تمتلك مثل هذه الأسلحة في منطقة الشرق الأوسط، وعلى الرغم من أن هذه الأسلحة يمكن أن تلحق أضرارا بالعالم الإسلامي لكنها لن تتمكن من القضاء عليه. إن إيران تنظر إلى إسرائيل على أنها تضغط على الولايات المتحدة الأمريكية باستمرار لتوجيه ضربة عسكرية ضد الأهداف الإستراتيجية التي تمتلكها، ومن ضمنها المفاعل النووي في مدينة بوشهر، وتتعاون مع تركيا لكي تطوق إيران من الشرق والشمال، وبالتالي فإذا امتلكت إيران أسلحة نووية فإنها ستشكل عندئذ تهديدا خطيرا ليــس على إسرائيل فحسب، وإنما

على العديد من الدول العربية والمصالح الأمريكية في المنطقة، فحتى الآن لم تنجح أي من الدول التي تراها إسرائيل متطرفة في بناء قدرات نووية، وإذا نجحت إيران في اختراق هذا الحاجز فإنها ستتسبب في حصول توتر كبير وتزيد من عدم استقرار المنطقة، لأن العديد من اللاعبين الأساسيين سيشرعون في سباق تسلح نووي في المنطق ، ولن يقفوا موقف المتفرج (12) .

في مؤتمر هرتسليا الخامس سنة 2004 قفز المشروع النووي الإيراني ليحتل هرم الأجندة المثيرة للنقاشات والجدل، حيث اتفق المؤتمرون على أن السلاح النووي الإيراني خطر دائم على إسرائيل، لأن إيران تملك القدرة الكافية على إنتاج سلاح نووي، ولديها الكثير من المفاعلات النووية، وما دام أنها تملك قوة صاروخية طويلة المدى، فبمقدورها أن تحمل رؤوسا نووية تؤدي إلى دمار شامل لإسرائيل، وأضافت الدراسة أنه رغم الرقابة الدولية على سلاح إيران النووي، إلا أن الطبيعة الجغرافية لهذا البلد واتساع مساحته تجعله قادرا على إخفاء الكثير مما ستمتلك من مقدرات نوويـــة.

وتشير التقديرات الأجنبية أن الصبر الإسرائيلي بدأ ينفذ منذ شهر جويلية 2006 حيث تحدثت صانداي تايمز البريطانية على لسان مصادر إسرائيلية عن استعدادات متقدمة بقصف المفاعل في بوشهر وتطوير الخطط الدفاعية النووية في إسرائيل لمواجهة إيران في حالة إذا لم تتوقف إيران عن تخصيب اليورانيوم وتصغي للرؤية الأمريكية في الشرق الأوسط .(13)

2-أثره على المصالح الحيوية في منطقة الشرق الأوسط

تعتبر منطقة الشرق الأوسط من المناطق التي أثارت اهتمام المجتمع الدولي نظرا لأهميتها الإستراتيجية وتشابك مصالح الدول الكبرى فيها، وحدة الصراعات التي عرفتها، فقد شهدت تطورا مهما يتعلق بسعي العديد من دول المنطقة إلى محاولة اكتساب أسلحة دمار شامل، لعل أبرز اللاعبين في هذا الموضوع همـــا إسرائيل وإيران، فكل واحدة منهما تنظر إلى هذه المنطقة على أنها منطقة نفوذ لها، وبالتالي يجب فرض السيطرة عليها، لذلك أكبر ما تخشاه إسرائيل من تأثير إيراني (نووي) على المنطقة هو انتقال (السلاح النووي) لفاعلين جدد معاديين لسياسة إسرائيل وبالتالي تزايد الأخطار الأمنية، إضافة إلى التحول في طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي وانتقاله من مرحلة

الصراع التقليدي إلى الصراع النووي، وبالتالي فان تداعيات هذا البرنامج سوف تؤثر حتما في منطقة توازن القوى في المنطقة.

2-1 انتقال السلاح النووي "لمحور الشر" (سوريا – حزب الله – حركة حماس)

تتمتع كل من سوريا وإيران بعلاقات حميمة من نوع خاص، وقد اتضح ذلك جليا في تحالفهما ضد الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، فلقد فرض التحالف السوري – الإيراني نفسه على مسرح الأحداث في حرب إسرائيل مع حزب الله التي جرت في جويلية وأوت من سنة 2006، إذ تشير التقارير الاستخباراتية الإسرائيلية أن سوريا وإيران كانتا على علم مسبق بالغارة التي شنها حزب الله داخل إسرائيل في 12 جويلية، كذلك فان إحدى المصالح القوية المشتركة بين البلدين هي قدرة حزب الله على إزعاج الإسرائيليين في منطقة حدودها الشمالية، ولقد وجهت إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية الكثير من اللوم في هذه الأعمال العدائية ضد سوريا وإيران، متهمتان إياهما بدعم حزب الله بالأموال والأسلحة والذخائر والتدريب، فهناك من المحللين من يعتقد أن تلك الحرب هي "حرب بالوكالة "Proxy war بين الولايات المتحدة من جهة، وسوريا وإيران من جهة أخرى، حيث صرح العديد من المسؤولين منهم الرئيس الأمريكي الأسبق "جورج بوش" ووزيرة خارجيته "كوندوليزارايس" بأن الحرب الإسرائيلية على لبنان هي جزء من الحرب على الإرهاب التي تقودها الولايات المتحدة منذ سبتمبر 2001، وهي تجسيد لمشروع الشرق الأوسط الكبير الذي تحدث عنه "شيمون بيريز" والهادف إلى أن تصبح إسرائيل وكيل واشنطن في الوصاية على الشرق الأوسط .(14)

إن جذور العلاقة الوطيدة بين سوريا وإيران هي ليست وليدة حرب جويلية 2006، كما تريد إسرائيل من خلال الترسانة الإعلامية تسويقها، إنما تعود إلى فترات ما قبل الثورة الإسلامية في إيران، حيث سوريا كانت تنمي بطريقة غير رسمية علاقات مع العناصر من المعارضة الإيرانية في بداية السبعينيات وهذا راجع إلى عاملين اثنين هما :

1- عدم رضاها عن علاقات الشاه الحميمية التي كان يقيمها مع إسرائيل.

2- تخوفها المتزايد من حزب البعث العراقي، والذي بدأ يبرز كمنافس لسوريا على المسرح القومي العربي.

كما استفاد النظام السوري من علاقاته الطيبة مع عدد من الزعماء الشيعة، من أجل تقوية شرعية حكومة حافظ الأسد في دمشق، حيث أن هذا الأخير عبر عن سعادته ورضاه في عودة " آية الله الخميني " إلى إيران بعد نجاح الثورة الإسلامية. كذلك مساندة سوريا لإيران في الحرب العراقية الإيرانية رغم شبه الإجماع لجامعة الدول العربية المؤيد للعراق.

وهو القرار الذي عقبه سنوات من العزلة عانت منها سوريا أسفرت عن عجز مالي، ولأن الحرب العراقية الإيرانية استمرت ثمانية سنوات ، فلقد كان الدور السوري جد فعال في الحرب من خلال إغلاق خط أنبوب النفط العراقي السوري وتعويض احتياجاتها النفطية من إيران كما قامت سوريا بتزويد إيران بقطع الغيار الحربية والمساعدات اللوجستية للمقاتلات التي كانت تحتاج إلى إعادة إمداد بالوقود في أراضي صديقة أثناء الحرب ، كما تطورت أيضا التعاملات التجارية بدرجة كبيرة بين البلدين نتيجة انقطاع صلتهما بمعظم الأسواق العالمية، وكان هناك أيضا تدفق متزايد من الزوار الإيرانيين للأضرحة الشيعية في سوريا ما أدى إلى مداخيل سياحية كانت في أشد الحاجة إليها (15).

إن الولايات المتحدة الأمريكية تعتبر كل من إيران وسوريا دولتين مارقتين rogue states وذلك لسعيهما لامتلاك أسلحة الدمار الشامل ودعم حركات المقاومة سواء بالأسلحة التقليدية في التجارب الماضية من خلال الحربين في 2006 وحرب غزة في 2008 أو مستقبلا عن طريق تزويدهما (بالسلاح النووي) ، والذي يؤدي إلى الإخلال بالمصالح الأمريكية الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط خاصة وأن الرئيس الإيراني أحمدي نجاد قد حذر إسرائيل من أنها لو هاجمت سوريا فسوف تواجه رد قاس من إيران وذلك تزامن مع توقيع اتفاقية شراكة إستراتيجية بين سوريا وإيران وقعها كل من وزيرا دفاع البلدين، تعتبر أي عدوان على أي منهما يعتبر عدوان على الدول الأخرى.

لقد كانت سوريا تكرر دفاعها عن حق إيران في مواصلة البرنامج النووي و حقها في تخصيب اليورانيوم (16).أما عن علاقة إيران بحزب الله فهي علاقة متميزة لها خصوصية دينية، حيث منذ عهد " الشاه إسماعيل" في القرن السادس عشر وتبني العقيدة الإثني عشرية الشيعية هي الديانة الرسمية للدولة الصفوية، بدأت الدعوى لتبني هذه العقيدة من طرف علماء الشيعة المتواجدين في " جبل أمل" الموجود الآن في جنوب

لبنان و هكذا عندما جاء الإمام " موسى الصدر" زعيم الصحوة الشيعية في لبنان، من إيران عام 1957 ليستلم قيادة الجماعة كان معارضا لسياسة الشاه " محمد رضا بهلوي " والمؤسسة الدينية وقد جذب وجوده في لبنان الكثير من الإيرانيين الذين كونوا شبكة أصبحت فيما بعد ذات تأثير كبير في لبنان، لولا اختطافه في ليبيا عام 1978 لأمكن له أن يلعب دورا كبيرا في الثورة الإيرانية وما تلاها من أحداث.

لقد ارتبط حزب الله بإيران انطلاقا من ثوابت ومفردات فكرية وعقائدية حيث أن كل أفراد الحزب من اللبنانيين الشيعة الذين يعتبرون الولي الفقيه في إيران مرجعا دينيا وسياسيا لهم ، فقد جاء في بيان صادر عن الحزب يوم 16 /02/ 1985 أن الحزب ملتزم بأوامر قيادة حكيمة وعادلة وتتجسد في ولاية الفقيه. (17)

إن إسرائيل في حرب جويلية 2006 لم تتوان لحظة واحدة في توجيه أصابع الاتهام إلى إيران بتزويد حزب الله بأسلحة متطورة لم يمتلكها الحزب من قبل مثل صواريخ بعيدة المدى زلزال 1-2 يبلغ مداها 200 كلم يمكنها الوصول إلى تل أبيب وغيرها من الأسلحة الأخرى والطائرات بدون طيار وهو ما انعكس إيجابا على نفسية المقاوم اللبناني. (18)

2 -2 التحول في طبيعة الصراع العربي الإسرائيلي

إن الصراع العربي الإسرائيلي له جذور تاريخية تداخلت فيه عوامل سياسية واقتصادية وعقائدية فهو صراع مركب ومعقد، حيث كانت بدايته صراع وجود ومع تبني إسرائيل سياسة " خطوة خطوة step by step " في إضعاف الشمل العربي واستبعاد دول محورية ومؤثرة من هذا الصراع كحالتي مصر والأردن، تحول هذا الصراع إلى صراع حدود.

ومع دخول العامل النووي في معادلة الصراع العربي الإسرائيلي ازدادت الأمور تعقيدا، ليتنقل هذا الصراع من مستوى الصراع التقليدي باعتماد أسلحة تقليدية كالدبابات والطائرات والبوارج والمدفعية إلى صراع نووي مال فيها ميزان القوى لصالح إسرائيل، خاصة مع اعتماد إسرائيل لمبدأ الاحتكار النووي فهي لا تسمح لأي دولة بامتلاك هذا السلاح، مثل ما حدث مع المفاعل النووي أوزيراك 1981 وهذا المبدأ يعتبر من مبادئ الإستراتيجية الإسرائيلية منذ عهد رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق "مينحايم بيغن" حيث يرى أن إسرائيل سوف تقوم بضربات وقائية ضد أي محاولة تقوم بها أي دولة في

المنطقة في الاتجاه النووي كما صرح " آرييل شارون " عندما كان وزير الدفاع السابق لجريدة لوس أنجلس في 29 /10/ 1981 بقوله " إننا لن نسمح لأي دولة عربية لإنتاج الأسلحة النووية "، لذلك كانت إسرائيل حريصة على مبدأ الاحتكار النووي مع عدم الانضمام لمعاهدة منع انتشار الأسلحة النووية. NPT (19)

إن فكرة إنشاء منطقة خالية من الأسلحة النووية في الشرق الأوسط في الأصل هي أمريكية اقترحتها وزارتا الخارجية والدفاع الأمريكيتان على الرئيس الأمريكي" جونسن" كثمن لتزويد إسرائيل بأسلحة متطورة ولكن "جونسون" لم يتحمس لاقتراح مساعديه بعد اعتراض إسرائيل عليها، وبالتالي مضت الولايات المتحدة الأمريكية قدما في دعم البرنامج النووي الإسرائيلي حتى تمكنت من إنتاج أول قنبلة نووية، حيث تشير التقارير الأمريكية إلى أن إسرائيل تحوز على أسلحة نووية متنوعة، منها قنابل ذرية تطلق إشعاعات نووية شديدة يطلق عليها اسم قنبلة النيترون، بالإضافة إلى قذائف نووية تطلق عن طريق المدفعية وتستخدم إسرائيل صواريخ بعيدة المدى وطائراتها التي يمكن أن تحمل قنابل ذرية وتزويدها بالوقود في الجو لزيادة مدى طيرانها، علاوة على غواصات حصلت عليها من ألمانيا (أربع غواصات) مزودة بصواريخ يمكنها حمل رؤوس نووية عابرة للقارات.

في الوقت نفسه تعمل إسرائيل بكل ما في وسعها لمنع أي دولة عربية أو غير عربية في المنطقة من أن تكون لديها حتى أبحاث في المجال النووي، فبالنسبة لما قامت به إسرائيل مع سوريا هو شك في أن مبنى كان يمكن أن يكون مفاعلا نوويا بمساعدة كوريا الشمالية رغم أنها لم تتأكد من الموضوع قامت بقصفه. (20)

فإسرائيل تخشى من أن تصل دولة عربية لاكتساب السلاح النووي، ويتم كسر جدار الاحتكار وبالتالي تتوالي الدول العربية في السباق نحو هذه التكنولوجيا ، مما يؤدي إلى التحول من صراع إسرائيلي نووي ضد تقليدي عربي إلى صراع إسرائيلي عربي نووي، إن إسرائيل لا تريد إعادة التجربة الإيرانية مع دولة عربية أخرى، رغم أن هناك دول عربية تطمح في استخدام القدرة النووية لأغراض سلمية، لأنها تتخوف من تحول هذه البرامج عن المسار الذي أنشئت من أجله، فالمشروع النووي الإيراني بدايته كانت بالمساعدة الأمريكية، عندما كانت إيران حليف استراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية ودركيتها في المنطقة، لكن بعد حدوث تحولات في بنية النظام الإيراني انقلب السحر على

الساحر، وهذا ما يثير مخاوف إسرائيل، فمصر مثلا أعلنت عن استئناف برنامجها رسميا في أكتوبر 2007، بحيث تم إنشاء ثلاث محطات نووية سلمية لتوليد الطاقة الكهربائية، قدرة كل منها 600 ميقاواط ، ووقع الاختيار المبدئي على منطقة الضبعة (21)، وفرضا تم دعم البرنامج من طرف الدول الحليفة لمصر كالولايات المتحدة الأمريكية، أو إقامة اتفاقيات تعاون وشراكة مع دولة مثل فرنسا، وعرف هذا البرنامج مراحل جد متقدمة، ثم نتيجة تحولات في بنية النظام المصري، فان إسرائيل تتخوف من هذا المشروع النووي على أنه ربما يصبح مهدد لأمنها القومي. إن التغييرات المتسارعة التي تعرفها منطقة الشرق الأوسط، تسير كما يرى بعض الأكاديميين في طريق تجاوز بوابة نووية واحدة للمزيد من البرامج الجديدة.(22)

3- سيناريوهات تعامل إسرائيل مع البرنامج النووي الايراني

إن أية دراسة استشرافية يمكننا القيام بها لمعالجة مخاطر التهديد النووي الإيراني على السياسة الأمنية الإسرائيلية، لا يمكن إغفال الدور الأمريكي فيها، لأن هذا الأخير له أهمية كبيرة في تحديد معالم المرحلة المقبلة، كما كانت له أهمية كبيرة في انطلاق هذا المشروع في عصر الشاه، حاولنا منة خلال هذا المبحث وضع ثلاث سيناريوهات محتملة كبديل للوضع الراهن، أي الاطار القانوني لاتفاق ابريل 2015

3 -1 سيناريو العودة الى سياسة فرض العقوبات

في هذا السيناريو تعود الولايات المتحدة الأمريكية والترويكا الاوربية في زيادة فرض العقوبات الاقتصادية على إيران مع عدم إلغاء سلة الحوافز، و اشتراط امن إسرائيل خط أحمر لا يمكن للإيرانيين المساس به، و عدم مواجهة تعنت إيران. لأن هذه الأخيرة تواجه التشدد بالتشدد و التهدئة بالتهدئة، وهذا في إطار تطبيق سياسية " العصا و الجزرة " (23)

و يوافق المجتمع الغربي بصفة عامة و الاتحاد الأوربي بصفة خاصة بحق إيران في امتلاك الطاقة النووية السلمية، مع استمرار إسرائيل لممارسة سياسة الاحتكار النووي، و السماح بتخصيب اليورانيوم داخل إيران، لكن شرط أن يكون هذا التخصيب مقيدا، أو محدودا، وعلى إيران قبول مجموعة من الشروط التي تقترن مع تخصيبها لليورانيوم، وأهمها السماح للوكالة الدولية للطاقة الذرية بتفتيش مفاجئ وصارم، وعدم السماح لإيران بالقيام بعمليات تخصيب خارج أراضيها، و هو ما نص عليه اتفاق ابريل

2015، ومن المتوقع أن ينجح مثل هذا الخيار، سيما إذا تم تطبيقه بشكل سليم على أن يتم إعطاء الحوافز الملائمة في حالة التجاوب الإيراني، وتطبيق العقوبات الذكية في حالة الرفض والتعنت(24)، و بالتالي على الاتحاد الأوربي أن يبلغ إيران أنه مستعد للاعتراف بحقها في الحصول على دورة الوقود الكاملة، استنادا إلى البند الرابع من معاهدة الحد من الانتشار النووي، إذا التزمت إيران بوقف استئناف التخصيب إلى أجل لاحق، و كذلك التزامها بما ينص عليه البروتوكول الإضافي الموقع من طرفها، و استئناف المفاوضات فيما يخص التطبيق المرحلي لقدرات التخصيب وفق قواعد المجتمع الدولي و تحت إشرافه(25).

3 -2 سيناريو التصعيد (إستراتيجية الحسم العسكري)

منذ مطلع التسعينيات رفع الزعماء الإسرائيليون التهديد الإيراني إلى مستوى الخطورة ، و ذلك ليس بسبب تسارع عدوانية النظام الإيراني إزاء إسرائيل و انخراط إيران في أعمال مناوئة لها ، وإنما بسبب الجهود الإيرانية الحثيثة (لامتلاك أسلحة نووية)، إن العديد من الزعماء الإسرائيليين يعتبرون التهديد الإيراني أسوء و أخطر تهديد يواجهه إسرائيل (26)، و يبدوا أن قرار إيران منذ البداية لتطوير قدرات عسكرية نووية كان ردا على امتلاك إسرائيل و احتكارها لهذا السلاح، إن الخطورة في ذلك كله تكمن بامتلاك إيران أسلحة نووية فإن أولوياتها سوف تتغير، و ربما تعطي أهمية كبيرة لإمكانية مهاجمة إسرائيل(27) .

كما أن الإدارة الأمريكية لم تتوقف عن القيام بمناورات عسكرية أو خطط افتراضية تتصل بعملية عسكرية في إيران، فلقد صرح مصدر أمريكي رفيع المستوى أن إيران قد سرعت عمليات تخصيب اليورانيوم قبل أن توقع على الاتفاق بينهما و بين الطرف الأوروبي، و أنها تواصل جهودها في تطوير صواريخ تحمل رؤوس نووية.

إن الهجوم الإسرائيلي على المنشآت النووية الإيرانية يجب أن يتحقق في ظل ظروف مختلفة و معقدة جدا، مغايرة لما حدث مع المفاعل النووي أوزيراك في العراق سنة 1981، حيث كانت تلك العملية ناجحة، فقد تم تنفيذها بشكل مفاجئ، و تم تدمير المفاعل بشكل جدي، و عادت القوات الجوية الإسرائيلية إلى قواعدها دون خسائر، كما لم تسطع العراق الرد على هذه الضربة، إن منشآت النووية الإيرانية هي أبعد عن إسرائيل

من المفاعل النووي العراقي إلى جانب كون هذه المنشآت محصنة جدا و البعض منها موجود تحت الأرض.

إن هذا السيناريو في غاية الخطورة، و له تداعيات إقليمية و دولية بعيدة المدى و لكنه سيناريو قد يظهر بشكل مفاجئ و بسرعة، إذا ما أدركت إسرائيل أن إيران قد تمكنت من امتلاك (السلاح النووي) ، لأنها غير مستعدة للقبول بنظرية "توازن الرعب النووي" بينها و بين إيران، لأنها هذه النظرية و إن نجحت إبان فترة الحرب الباردة في منع نشوب حرب بين الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفيتي سابقا، فإنه لا يمكن تطبيقها على دولة صغيرة مثل إسرائيل تكفي قنبلة نووية واحدة لإبادتها، كما أبلغ المسوؤلون الإسرائيليون نظرائهم الأمريكيين بأنهم يضعون في حساباتهم تراجع أمريكا و دخولها في السنوات المقبلة بعـــد إدارة "بوش" مرحلة جديدة، فإسرائيل تريد أن تكرر مع إيران ما سبق أن فعلته ضد العراق(28) .

لكن المشكلة الإستراتيجية التي تعترض إسرائيل عند قيامها بضربة عسكرية ضد إيران، هي أن ليس لديها القدرة العسكرية الكافية لتدمير برنامج إيران النووي تدميرا كاملا، حيث بإمكان القوات الجوية الإسرائيلية تدمير المواقع النووية الضعيفة في تحصيناتها / مثل مصنع ناتانز لتخصيب اليورانيوم. و مصنع تحويل اليورانيوم في أصفهان، إن مثل هذه العملية الجوية معقدة جدا، حيث ستفرض على القوات الجوية الإسرائيلية أن تتوسع في استخدام وسائلها إلى أقصى الحدود، (29)

و من أجل ضمان أكبر قدر من الاستعداد لهذه الضربة العسكرية، قامت إسرائيل بإجراء مناورات جوية ضخمة في جويلية 2008، و امتدت من شرق المتوسط إلى غربه عند جبل طارق بأكثر من 100 طائرة حربية، كما كانت قد سبقتها مناورات أخرى جرت خلال سنتي 2008/2007 بعضها قامت به إسرائيل منفردة و البعض الآخر بالاشتراك مع الولايات المتحدة الأمريكية، رغم خطورة و صعوبة المهمة، لأن التساؤلات التي يطرحها الإستراتيجيون في غاية الأهمية، فهل هذه العملية العسكرية هي محدودة أو شاملة ؟ أي القيام بهجمات صاروخية جوية محدودة ضد المنشآت النووية الإيرانية، بهدف تعطيل البرنامج النووي. أو شاملة تستهدف تدمير كل القدرات النووية و العسكرية و الاقتصادية الإيرانية حتى يتم إسقاط النظام الحاكم في طهران، فلقد نشرت صحيفة new york timesتقريرا في 20 جوان 2008، تحت عنوان " الولايات المتحدة تقول بأن

المناورات الإسرائيلية موجهة نحو إيران " هذه المناورات هي محاكاة لعملية قصف شامل بالقنابل ضد المنشآت النووية الإيرانية، فلقد بدت و كأنها جهود مبذولة لتطوير القدرة العسكرية الإسرائيلية للقيام بضربات طويلة المدى، و لإظهار جدية إسرائيل في التعامل مع إيران، إن وزير الدفاع الإسرائيلي" ايهود باراك" هو الذي حدد مسافة تحليق الطائرات بـــ 900 ميل حتى سواحل اليونان ، باعتبارها مساوين المسافة من إسرائيل إلى إيران، هذا ما يؤكد أن جميع الاحتمالات مطروحة فقد يتم تنفيذ هذه الضربة بانطلاق المقاتلات الإسرائيلية من المطارات و المدرجات الإسرائيلية، أو من أراضي صديقة مثلما أشرنا إلى اختيار جورجيا، إلا أن إسرائيليون يميلون أكثر لتوجيه الضربة من الأراضي الإسرائيلية، فهم يعولون على استخدام طائرات F16 التي تمتلك خزانات و وقود من طراز CFT ذات سعة ثلاثة آلاف لتر من الوقود، و كذلك منظومة رادارية من طراز" ساعار" يمكنها من امتلاك رؤية ليلية و في ظروف جوية صعبة و التعامل مع أهداف عديدة في أن معا، و قد طورت هيئة الوسائل القتالية" رفائيل" منذ مدة منظومة أطلقت عليها اسم "ريتا" تمكن الطائرات من التحليق على علو منخفض جدا، و الطائرات مزودة بهذه المنظومة مجهزة أيضا بصواريخ من طراز " بيتون 4-5 "، و صواريخ جو من طراز "أمرام" الذي يمكن هذه الطائرات من ضرب أهدافها و حمايتها في الوقت نفسه من أي هجمات جوية إيرانية (30).

إن الإسرائيليين يحاولون من خلال هذه المناورات و الاستعدادات تجاوز الصعوبات التي أشار إليها تقرير "فينوغراد"، و الذي يهدف إلى كشف الأخطاء التي تقع فيها المؤسسات السياسية و العسكرية الإسرائيلية، ثم إعادة النظر فيها و تصحيحها، كما أن تقرير " لجنة مريدور " في 23 أفريل 2006 قد حث إسرائيل على مواصلة سياسة الضبابية أو عدم الشفافية، أي سياسة الغموض النووي بالنسبة للسلاح النووي الإسرائيلي . (31) لأن الجهات العسكرية و الأمنية الإسرائيلية ترى نفسها ملزمة بالتفكير فـــي كيفية تحديد التهديد الإيراني، و ان هذه المهمة ملقاة على كاهلها و ليس الاعتماد على الغير، حيث أن رئيس هيئة اركان "دان حالوتس" يؤكد منذ 2006 أن الضربة الإستباقية المطلوبة وصلت إلى مرحلة اللاخيار .(32)

و هذا ما يؤكده "عامير ريما بورت" المحلل العسكري في صحيفة معاريف، نشر تقارير في "new york times " ، و في جرائد أخرى على تدريب سلاح الجو الإسرائيلي يدل على أن إسرائيل بقيت وحدها في مواجهة القنبلة الإيرانية.

ليست المناورات الجوية الإسرائيلية هي الدلالة الوحيدة على وجود نوايا إسرائيلية لشن عمل عسكري ضد إيران، بل توجد دلالات سياسية و عسكرية أخرى تؤكد هذه النوايا، و من أبزها:

- تصريح نائب رئيس وزراء إسرائيل ووزير النقل الجنرال " شاؤول موفاز" لصحيفة يديعوت أحرنوت في 06 جوان 2008، و الذي قال فيه بأن شن هجوم إسرائيلي على المواقع الإيرانية لامناص منه، و ذلك في ضوء الإخفاق الواضح للعقوبات في حرمان طهران من التكنولوجيا النووية التي يمكن استخدامها في صنع أسلحة نووية، ثم أوضح قائلا:" إذا استمرت إيران في برنامجها لتطوير أسلحة نووية سنهاجمها لأن العقوبات ثبت أنها غير فعالة " و أضاف " موفاز" " أن الرئيس الإيراني " أحمدي نجاد" الذي دعا إلى محو إسرائيل من الخريطة سيختفي قبل أن تختفي إسرائيل.

كذلك نجد ان صحيفة معاريف في 06 جوان 2008، نقلت عن مصدر سياسي – أمني إسرائيلي، أن احتمال شن الإدارة الأمريكية الحالية هجوما عسكريا ضد إيران أخذ يتضاءل مع مرور الوقت، مما يجبر إسرائيل على تحول مسؤوليتها لوضح حد و نهاية للخطر النووي الإيراني القادم، و بررت صحيفة معاريف ذلك نقلا عن مسئولين في المؤسستين السياسية و الأمنية الإسرائيليتين قولهم:" إن إسرائيل لا يمكنها أن تتحمل إيران نووية، و من ثم ينبغي العمل ضد إيران في أقرب وقت ."(33)

إن تنفيذ هذه الضربة العسكرية تواجهها صعوبة تقييم رد الفعل الإيراني، ليس فقط على إسرائيل و إنما على منطقة الشرق الأوسط ككل، حيث تتمثل احتمالات الرد الإيراني في النقاط التالية:

1- قصف المدن الإسرائيلية و القواعد الأمريكية البحرية و الجوية في الخليج ووسط آسيا، و جنوب أسيا في أفغانستان بواسطة صاروخ شهاب 4 طويل المدى.

2- دفع وحدات الحرس الثوري والمتطوعين بقوة تصل إلى أكثر من نصف مليون فرد، لإدارة مذابح ضد القوات الأمريكية في جنوب العراق، بالتعاون مع الميليشيات العراقية التابعة لإيران.

3- مهاجمة السفن الحربية الأمريكية، والقواعد الأمريكية البحرية في الساحل الغربي للخليج – خاصة الأسطول الخامس في البحرين– و ناقلات النفط بزوارق مسلحة بصواريخ بحرية.

4- إغلاق مضيق هرمز بالألغام لعرقلة تصدير النفط عبره إلى الدول المستهدفة و كذلك الممرات البحرية إليه، و مع قصف مرافئ تصدير النفط و منشآته في دول مجلس التعاون الخليجي.

5- إتباع أسلوب " الأرض المحروقة" بنسف حقول و منشآت إنتاج النفط في دول الخليج العربية، لخلق حالة من الهلع والذعر للتأثير في الاقتصاد العالمي.

6- قيام سوريا و حزب الله و حركة حماس بشن هجمات صاروخية ضد إسرائيل.

7- استخدام " السفن النائمة "، وهي سفن تجارية محملة بصواريخ سكود، و تشكل منصات عائمة لإطلاق هذه الصواريخ من البحار، خارج المياه الإقليمية الأمريكية و ضد لأهداف الأمريكية التي تقع في مداها.

ردود الفعل العسكرية الإيرانية على الضربة العسكرية الإسرائيلية يؤكدها وزير الدفاع الإيراني" علي شمخاني" بقوله" إذا وقع هجوم عسكري، فإن ذلك يعني أن الولايات المتحدة الأمريكية والأعداء الآخرين قد جمعوا المعلومات للتخطيط لعمل عسكري لذلك يجب أن يدركوا أننا سنرد بكل قوتنا على أي عمل عسكري ضد بلدنا و أن إيران لن تلتزم في ردها في هذه الحالة بمكان او زمان، و ستكون حرة في الرد على أي عمل عسكري ضد منشآتها العسكرية ."

إن أخطر سيناريو يمكن للعقل أن يتصوره، هو القيام بضربة نووية تجعلنا نصل إلى مرحلة" التدمير الثنائي المؤكد "mutual assured destruction MAD "، و هو أمر جد مستبعد، و ذلك لإدارتك صانعي القرار خطورة إقدام على مثل هذا العمل، حيث لاحظنا أن الصراع بين الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد السوفيتي سابقا، وصل إلى حد التهديد باستخدام السلاح النووي، و لكن نظرا للعقلانية التي تميز بها صانع القرار في ذلك الوقت حال دون اللجوء إلى ذلك.

3-3 سيناريو التوازن و التفاهم

يشير تقرير استخباراتي و ضعته وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون، إن" انتشار الأسلحة النووية سيكون أمرا محتما، و سوف تطور اليابان و كوريا الجنوبية و ألمانيا قدراتها للأسلحة النووية سيكون أمرا محتما، كما أن إيران ومصر و كوريا الشمالية و إسرائيل و الصين و الهند و باكستان، ستهدد باستخدام القنبلة النووية"، فالتقرير يشير إلى امتلاك إيران للأسلحة النووية و التهديد بها، مثل ما يحدث بين باكستان و الهند الجارتان النوويتان، فهذا السيناريو يتضمن امتلاك إيران للسلاح، و هو ما يؤدي إلى خلق حالة جديدة في منطقة الشرق الأوسط الجد حيوية، لم تشهدها من قبل، خاصة في ظل التخوف الشديد من استخدام هذا السلاح كحل أخير. (34) حيث أن نتيجته ستكون كاريثية، إضافة إلى عدم مغامرة إسرائيل بتوجيه ضربة عسكرية ضد إيران ، نظرا لردة فعل الإيرانية غير المتوقعة بالتحديد، و بالتالي سنكون هنا أمام وضع جديد في المنطقة، ألا و هو التوازن النووي بين كل من إسرائيل و إيران، أي باستطاعة الطرفين تهديد بعضهما البعض جديا بالدمار MAD، و بالتالي سيتجه الطرفان في هذا السيناريو إلى زيادة نفوذهما في المنطقة و الدخول في حالة تسابق، كتطوير كلا البلدين لترسانتهما النووية، و البحث عن تحالفات جديدة لإعادة توزيع الأدوار من جديد، ربما نصل فيها إلى حلف (إيراني روسي صيني مع إشراك كل من سوريا حزب الله و حماس) في مواجهة تحالف (إسرائيلي أمريكي أوربي" فرنسا، بريطانيا ألمانيا")، كذلك تجدر الإشارة إلى محاولة كل طرف للاستحواذ على منابع الطاقة و مصادرها لإضعاف الطرف الآخر، فقد يكون لورقة النفط و الغاز تأثيرها في المنطقة، فإيران دولة نفطية تسعى إلى قطع الطريق أمام إسرائيل و حلفائها من خلال موقعها الإستراتيجي و طبيعة تحالفاتها، و في المقابل نجد نفوذ الأمريكي و من وراءه الحليف الإستراتيجي إسرائيل، و علاقاته مع الدول الخليجية الرئيسية مثل السعودية و الكويت لتأمين مصادرها من النفط و الغاز.

هناك أيضا فرضية أخرى تندرج تحت هذا السيناريو، و هي تمثل إلى حد كبير وجهة نظر السياسيين وصناع القرار الإسرائيلي بأن النظام الإيراني شأنه شأن بقية أنظمة الحكم الأخرى، سيضطر في نهاية المطاف إلى تغليب مصالحه على البعد الإيديولوجي، و ان على دولة إسرائيل البحث عن جميع الوسائل الممكنة لإقامة أي شكل من أشكال العلاقة معه (35). خاصة في ظل التحولات السياسية التي تشهدها إيران مؤخرا، من

سلسلة الاحتجاجات و حتى اعتقال أكبر عدد من الشخصيات المعارضة للنظام السياسي الحالي" كمير حسين موسوي" و " مهدي كروبي"، فقد يصل تيار أكثر ليونة إلى سدة الحكم الإيرانية لينهي حالة التشدد و التصعيد في النظرة تجاه إسرائيل و من ورائها الولايات المتحدة الأمريكية، و يعيد ترتيب الأجندة الإيرانية بوضع الاستثمارات الأجنبية و ضرورة جلبها على هرم أولوياته، وإنهاء لحالة التأزم الشديد و العزلة التي تعانيها إيران، من خلال تضييق الخناق عليها من طرف الولايات المتحدة الأمريكية و الإتحاد الأوربي، لهذا فقد تلعب القنوات السرية دورا فعالا في تقريب وجهات النظر، و التخفيف من حدة التصريحات و الاتهامات(36). خاصة أن منطقة الشرق الأوسط هي منطقة مصالح بامتياز، باستطاعتها أن تكون حلا و مدخلا للتفاهم و الإنفاق، أو حتى لتقاسم الأدوار فيها.

خاتمة

تشكل إيران مشاكل جدية بالنسبة لإسرائيل، فدعمها المتواصل لحركات المقاومة، و معارضتها الحادة لعملية السلام الإسرائيلية – الفلسطينية، يؤدي إلى انزعاج إسرائيل من هذه السلوكات، إلا أن القضية الأكبر هو سعي إيران لامتلاك التكنولوجية النووية، و بالتالي إمكانية الحصول على (السلاح النووي)، الذي يؤدي مباشرة إلى تهديد الأمن القومي الإسرائيلي، الذي يعتبر البعد الديني و الإيديولوجي داعيا له، و بالتالي صعوبة زوال هذا التهديد.

منذ قيام إسرائيل وهي معرضة لتهديدات مختلفة، إلا أن البرنامج النووي الإيراني أوصل هذه التهديدات إلى المرحلة الذروة، أي إمكانية زوالـــها في أيـــة لحظة، نظرا للقدرة التدميرية الهائلة التي تتمتع بها الأسلحة النووية، و التي ألغت الكثير من المبادئ و البديهيات التي كانت معتمدة في الإستراتيجية الإسرائيلية. كسقوط نظرية الردع و فشل الاحتكار النووي.

و ما زاد من حدة هذه التهديدات الإيرانية تواجد إسرائيل في منطقة جيو إستراتيجية ينظر إليها العالم كله كمنطقة للطاقة، إضافة إلى أن أغلبية دول منطقة الشرق الأوسط هي معادية لإسرائيل، و بالتالي فإن أثار هذا البرنامج النووي قد يزيد من حدة هذا العداء، بامتلاك إحدى هذه الدول المعادية لسلاح نووي، أو حتى حزب من أحزاب المقاومة، و بالتالي تتزايد التهديدات كما و نوعا عن ما كانت عنه من ذي قبل.

إن المسألة النووية الإيرانية و تداعياتها على الأمن القومي الإسرائيلي، في غاية التشابك و التعقيد، و هو ما يترك كل الاحتمالات مفتوحة، و بالتالي صعوبة الاستشراف و التنبؤ.

الهوامش:

1- محمد حسنين هيكل: "سياحة صيف في الوثائق الإسرائيلية"، **جريدة الأحرار**، العدد 805، بتاريخ 21 أكتوبر 2000، ص 8.

2- Richard N.Haass, The New Middle East**, Foreign Affairs**, Vol 85, N06, December 2006, p 35.

3- نبيل صادق: "حرب النجوم في الشرق الأوسط: إسرائيل تطلق قمرا جديدا للتجسس"، **ملف الأهرام الإستراتيجي**، المجلد 12، 2006، ص 92.

4- سعيد عكاشة: "إيران في الصحافة الإسرائيلية"، **مجلة مختارات إيرانية**، العدد 27، أكتوبر 2002، في http://www.ahram.org، تاريخ الزيارة 06-01-2016، على الساعة 15:20 .

5- مجموعة من الكتاب والباحثين الإسرائيليين، **إسرائيل والمشروع النووي الإيراني**، ترجمة أحمد أبو هدبة، بيروت، مركز الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، 2006، ص 16.

6- أمين محمود العطايا: **الإستراتيجية العسكرية الإسرائيلية**، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، الطبعة الأولى، 1998، ص 20.

7- Robert Lowe and Claire Spencer, **Iran, Its Neighbours and the regional crises**, chatham house (the boyal institute of international affairs), December 2006, p 75

8- هند مصطفى علي: "إيران والسعي الحثيث لتطوير القدرات العسكرية"، **مجلة مختارات إيرانية**، العدد32 ، مارس 2003، ص 32.

9- عبد الله الأشعل: "العالم العربي والتسلح النووي الإيراني"، **مجلة مختارات إيرانية**، العدد 58، ماي 2005، http://www.ahram.org ، تاريخ الزيارة ز 2016/01/20 ، على الساعة 19:34

10- عبد القادر محمد فهمي: **واقع ومستقبل الإستراتيجية، تحديات القرن القادم**، عمان، الأردن، دار وائل للنشر، الطبعة الأولى، 1999، ص 198.

11- يائيي عفرون: الردع وقيوده ، **في يوم حرب على لبنان أطول الحروب وأكثرها فشلا وتكلفة**، مجموعة مؤلفين إسرائيليين، ترجمة أحمد أبو هدبة، بيروت، مركز الدراسات الفلسطينية، الطبعة الأولى، 2007، ص 52.

12- أفرايم كام: تقييم اسرائيلي للتهديد النووي الإيراني، **في إسرائيل والمشروع النووي الإيراني**، المرجع نفسه، ص ص 129-132.

13- بيسان عدوان: "إيران النووية في مؤتمر هرتسيليا الخامس"، **مجلة مختارات إيرانية**، العدد 54، جانفي 2005 ، في http://www.ahram.org، تاريخ الزيارة : 2016/02/06، على الساعة: 23:10

14- تسعديت مسيح الدين: " الحروب بالنيابة في النظام الدولي الجديد" ، **مجلة دراسات إستراتيجية**، العدد08 ، سبتمبر 2009، ص 75.

15- سامح همام: الضغوط الأمريكية ومستقبل العلاقات الإيرانية-السورية، مجلة مختارات إيرانية، العدد56 ديسمبر 2005، في **http://www.ahram.org**، تاريخ الزيارة 2016/01/03، على الساعة 14:03.

16- Robert lowe and Claire spencer, **ibid** , p75.

17- أبو بكر السوفيك **مرجع سابق**، ص 94.

18- أمحند برقوق:"إسرائيل فشلت استراتيجيا في لبنان"، **جريدة الشعب**، العدد 14041، بتاريخ 14 أوت 2006، ص 04.

19- أمين حامد هويدي: **الصراع العربي الإسرائيلي بين الرادع التقليدي والرادع النووي**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، 1987، ص187.

20- أحمد حجاج: "الغرب ودعم البرنامج النووي الإسرائيلي"، **مجلة السياسة الدولية**، العدد 174، أكتوبر 2008، ص 156.

21- إيمان أحمد رجب: "البرنامج النووي المصري...تحديات الواقع وسيناريوهات المستقبل"، **مجلة السياسة الدولية**، العدد 174، أكتوبر 2008، ص 160.

22- محمد عبد السلام:"إنتشار البرامج النووية السلمية في الشرق الأوسط"، **ملف الأهرام الاستراتيجي**، المجلد 12، 2006، في http://www.ahram.org، تاريخ الزيارة 2011/01/27، على الساعة 17:44.

23- علي حسين باكير: "رؤية مجموعة الأزمات الدولية للخروج من المأزق النووي الإيراني"، **مجلة دراسات إستراتيجية**، العدد الثاني، جوان 2006، ص 96.

24- علي حسين باكيرا: **مرجع سابق**، ص 97.

25- ليلى العايب: "واشنطن قد تتنازل وتسمح لإيران بمواصلة التخصيب"، **جريدة الشروق اليومي**، العدد2586، بتاريخ 2009/04/15، ص 16.

26- علي حسن باكيرا : **مرجع سابق**، ص 97.

27- إفرايم كام: "كبح جماح التهديد النووي الإيراني: الخيار العسكري"، **في إسرائيل والمشروع النووي الإيراني**، مرجع سابق، ص 105.

28- حسام سويلم: "إحتمالات توجيه ضربة عسكرية ضد إيران"، **ملف الأهرام الإستراتيجي**، المجلد 13، 2007، في http://www.ahram.org، تاريخ الزيارة 2016/01/07، على الساعة 33 : 22.

29- حسام سويلم: "أبعاد جديدة للمواجهة الإيرانية الأمريكية الإسرائيلية وتأثيراتها على منطقة الشرق الأوسط"، **مجلة مختارات إيرانية**، أكتوبر 2008،http://www.ahram.org، تاريخ الزيارة 2016/01/08، على الساعة 58 : 08.

30- دانيال أفراتي: هل سلاح الجوي الإسرائيلي مهيأ لتدمير المنشآت النووية الإيرانية، في إسرائيل والمشروع النووي الإيراني، **مرجع سابق**، ص 143.

31- " لجنة مريدور" و إعادة فحص التفكير الإستراتيجي و بلورة المفهوم الأمني الإسرائيلي"، **مجلة دراسات إستراتيجية**، العدد الرابع ، جويلية2007 ، ص 131.

32- أمنون لورد: المشروع النووي الإيراني و اللاخيار الإسرائيلي، في إسرائيل و المشروع النووي الإيراني، **مرجع سابق**، ص 170.

33- حسام سويلم، المناورات الجوية الإسرائيلية، و هل هي بروفة نهاية لضرب إيران، **مجلة مختارات إيرانية**، أوت 2008، في http://www.ahram.org ، تاريخ الزيارة 08 /2016/01، على الساعة 01 : 11 .

34- "التغيير المناخي، العدو الجديد للبانتغون" ؟ ،**جريدة البلاد**، عدد 1306، بتاريخ 2004/03/04، ص 17.

35- أحمد أبو هدية: إسرائيل و المشروع النووي الإيراني، **مرجع سابق**، ص 08.

36- عمار علي حسن: "طهران وواشنطن و المراوحة بعيد عن الهاوية"، **مجلة مختارات إيرانية**، العدد38، سبتمبر2003، في http://www.ahram.org ، تاريخ الزيارة 2016/01/10 ، على الساعة 53 : 17 .